التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾[التوبة].

فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسوله: وهو طاعته، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه، ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي ترتبت على خروجهم مع رسوله، **فقال:** ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴿٤٧﴾﴾[التوبة].

أي: فسادًا وشرًّا.

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة].

أي: سعوا بينكم بالفساد، وفيكم من يستجيب لهم، فيتولد من سعي هؤلاء واستجابة هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم، فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه، فاجعل هذا المثال أصلًا وقس عليه.

هل نحن مأمورون بالرضا بكل مقضي

فإن قيل: إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله، فكيف ننكره ونكرهه؟

فالجواب: أن يقال أولًا: نحن غير مأمورين بالرضا بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة، بل من المقضي ما يرضى به، ومنه ما يسخط ويمقت، كما لا يرضى به القاضي لا قضيته سبحانه، بل من القضاء ما يسخط، كما أن من الأعيان المقضية ما يغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم.

ويقال ثانيًا: هنا أمران: قضاء الله، وهو فعل قائم بذات الله تعالى، ومقضي، وهو المفعول المنفصل عنه، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة، نرضى به كله، والمقضي

قسمان: منه ما يرضى به، ومنه ما لا يرضى به.

ويقال ثالثًا: القضاء له وجهان: أحدهما تعلقه بالرب تعالى، فمن هذا الوجه ونسبته إليه: يرضى به والوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به.

مثال ذلك: قتل النفس: له اعتباران: فمن حيث قدّره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلًا للمقتول، يرضى به، ومن حيث صدر من القاتل وباشره وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله: نسخطه ولا نرضى به.

حكم من سأل: لِمَ فعل؟

وقول الطحاوي: (فمن سأل لِمَ فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين) قول صحيح، فإن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله: على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمة: عرفته وما خفي عنها: لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولهذا كان سلف هذه الأمة المحمدية التي هي أكمل الأمم عقولًا ومعارف وعلومًا لا تسأل نبيها: لم أمر الله بكذا؟ ولم قدر كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام.

العلم علمان: علم موجود وآخر مفقود

قال الطحاوي: (فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود؛ فإنكار العلم الموجود، كفر، وادعاء العلم المفقود: كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود).

والإشارة بقوله: (فهذا) إلى ما تقدم ذكره، مما يجب اعتقاده والعمل به. مما جاءت به الشريعة.

وقوله: (ومي درجة الراسخين في العلم)، أي: علم ما جاء به الرسول ﷺ جملة وتفصيلًا، نفيًا وإثباتًا.

ويعني بالعلم المفقود: علم القدر الذي طواه الله عن أنامه، ونهاهم عن مرامه.

ويعني بالعلم الموجود: علم الشريعة، أصولها وفروعها.

فمن أنكر شيئًا مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين.

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾[الجن].

ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته، ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق العقارب والحشرات التي لا يعلم منها إلا المضرة لم ينف أن يكون الله تعالى خالقًا لها، ولا يلزم ألا يكون فيها حكمة خفيت علينا؛ لأن عدم العلم لا يكون علمًا بالمعدوم.

الإيمان باللوح والقلم

قال: (ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم).

فقد قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾[البروج].

واللوح المذكور هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه، والقلم المذكور هو الذي

خلقه الله وكتب به في اللوح المذكور المقادير، كما في سنن أبي داود، عن عبادة بن الصامت **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، **قال:** يا رب وماذا أكتب؟ **قال:** اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

خلق العرش قبل القلم

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهنداني، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو **قال:** قال رسول الله ﷺ : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، **قال:** وعرشه على الماء». فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا.

ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم» إلى آخره: أما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة وهو الصحيح كان عناه: أنه عند أول خلقه قال له: «اكتب» كما في اللفظ: «أول ما خلق الله القلم قال له اكتب» بنصب «أول» و «القلم» وإن كان جملتين وهو مروي برفع «أول» و «القلم» فيتعين حمله وأنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان؛ إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم.

فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم] والقلم الثاني: قلم الوحي، وهو الذي يكتب به الوحي إلى أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم الحكام على العالم، والأقلام كلها خدم لأقلامهم، وقد رفع النبي ﷺ ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها أمر العالم العلوي والسفلي.

عجز الخلق عن تغيير الكائن المقدر

ثم قال أبو جعفر رحمه الله: (فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى أنه كائن، ليجعلوه غير كائن، لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى؛ ليجعلوه كائنًا؛ لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة).

وذلك في حديث جابر عن رسول الله ﷺ **قال:** «جاء سراقة بن مالك بن جعشم **فقال:** يا رسول الله، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن: ففيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما استقبل؟ **قال:** لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا **فقال:** يا غلام: ألا أعلمك كلمات!! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف».

رواه الترمذي **وقال:** حديث حسن صحيح.

وإذا علم العبد أن كلاً من عند الله فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴿٤٤﴾﴾[المائدة].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

وقال بعض السلف: ما احتاج تقي قط، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴿٣﴾﴾[الطلاق].

فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خللًا فليستغفر الله وليتب إليه.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ﴿٣﴾﴾[الطلاق].

أي: فهو كافيه غير محوجه إلى غيره.

وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب حتى قال الكافرون: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ ﴿٧﴾﴾[الفرقان].

ولهذا تجد كثيرًا ممن يرى الاكتساب ينافي التوكل يرزقون على يد من يعطيهم، إما صدقة، وإما هدية.

قال: (وما أخطأ العبدَ لم يمكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه).

وهذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة.

تقدير المقادير قبل الخلق معلوم محكم

قال: (وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض، ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه).

وهذا بناء على ما تقدم من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها، كما قال ﷺ: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء». فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء

تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة، فكانت كما علم، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك].

وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالمًا في الأزل، **وقالوا:** إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

القدر نظام التوحيد والإيمان

قال: (وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام] **وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، وقال تعالى:** ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب] **)**.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه **قال:** «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده».

وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم وما أظهر من علمه الذي لا يحاط به، وكتابه مقادير الخلائق، وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم، ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر، وأما قدرة الله على كل شيء فهو الذي يكذب به القدرية جملة، حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن قدرته وخلقه.

والقدر - الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وإن الذين جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع - هو ما قدره الله من مقادير العباد، وعامة ما يوجد في كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء.

قال: (فويل لمن صار لله تعالى في القدَر خصيمًا، وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيمًا، وعاد بما قال فيه أفّاكًا أثيمًا).

اعلم أن القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام].

أي: كان ميتًا بالكفر فأحييناه بالإيمان، فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، **كما قال عبد الله بن مسعود:** «هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر» وكذلك القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك، بحسب قوة المرض وضعفه.

ومرض القلب نوعان: مرض شهوة، ومرض شبهه، وأردؤها، مرض الشبهة، وأردأ الشُبَه: ما كان من أمر القدر، وقد يمرض القلب ويشتد مرضه ولا يشعر به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبائح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كانت فيه حياة: تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته.

ما لجرح بميت إيلام

وقد يشعر بمرضه، ولكنه يشتد عليه تحمُّل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، وذلك أصعب شيء في النفس، وليس له أنفع منه، وتارة يوطن نفسه على الصبر، ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه، لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مَخُوف مفُضٍ إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إن صَبر

عليه انقضى الخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه، ومتى ضعف صبره ويقينه: رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها، ولاسيما إن عُدم الرفيق واستوحش من الوحدة، وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي أسوة بهم! وهذه حال أكثر الخلق، هي التي أهلكتهم، فالصابر الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[النساء].

لزوم اتباع الحق عاصم عن الشبه في أمر القدر

وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة، في كتاب (الحوادث والبدع): حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد: لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلًا والمخالف له كثيرًا؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا ننظر على كثرة أهل الباطل بعدهم.

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه **قال**: السُّنَّة -والذي لا إله إلا هو- بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعتهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك فكونوا.

وعلامة مرض القلب: عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة، إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع، إلى دوائه الضار، منها هنا أربع أشياء: غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك، فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك، وأنفع الأغذية: غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية: دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين وأضل الضالين، فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾[فُصِّلَت].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[الإسراء].

و ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعيض.

الإيمان بالعرش والكرسي

قال الطحاوي: (والعرش والكرسي حق).

وذلك كما بين الله تعالى في كتابه:

قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[البروج].

وقال سبحانه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾[غافر].

وقال عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾[النمل].

وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه **قال:**

« إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن».

وقد ثبت له قوائم تحمله الملائكة، كما **قال النبي** ﷺ : «إن الناس يصعُقون، فأكون أول من يُفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي؟ أم جُوزي بصعقة الطور؟» رواه البخاري ومسلم.

والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[النمل].

العرش غير الكرسي

وأما من حَرَّف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن المُلْك، كيف يصنع بقوله تعالى:

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[الحاقة].

وبقوله تعالى:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود].

أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟ وكان ملكه على الماء؟ ويكون موسى عليه السلام آخذًا بقائمة من قوائم الملك؟ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟

وأما الكرسي فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة].

وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره. نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

روى ابن أبي شيبة في كتاب «صفة العرش» والحاكم في مستدركة، **وقال:** إنه على شرط الشيخين البخاري ومسلم ولم يخرجاه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أنه **قال:** الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى» وقد روي مرفوعًا إلى النبي ﷺ والصواب أنه موقوف على ابن عباس.

وقال غير واحد من السلف: هو بين يدي العرش كالمرقاة إليه.

غناه سبحانه عن خلقه

قال: (وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه).

* **أما قوله: (وهو مستغن عن العرش وما دونه)** فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[العنكبوت:٦].

وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش؛ ليبين أن خلقه للعرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوقًا للسافل لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالي، محيطًا به، حائلًا له، ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟ فالرب -تعالى- أعظم شأنًا وأجل أن يلزم من عُلوه ذلك، بل لوازم عُلوه من خصائصه، وهي حَمْلُه بقدرته للسافل، وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته -عز وجل- به فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به، وحصره العرش وعدَم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونُفاة العُلوّ، أهلُ التعطيل، لو فَصَّلوا بهذا التفصيل، لَهُدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلّوا عن سواء السبيل، والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك -رحمه الله- الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

إثبات إحاطة العظمة والفوقية

وأما قوله: **(محيط بكل شيء وفوقه)** فمعناه: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق